ضوابط فهم النص القرآني (الأساس اللغوي مثالا)

م.د احمد راهي سعدون الزيدي

م.د ليث عباس حميد الصائغ

جامعة كربلاء/كلية العلوم الاسلامية

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية – الفهم– الإعراب– النحو– الصرف– البلاغة–الصناعة المعجمية.

الملخص:

ان القرآن الكريم معجزة لغوية متجددة وحد لهجات اللغة العربية في جزيرة العرب وتعداها الى حضارات أخرى لتصبح اللغة العربية لغة عالمية ولكن بسبب الهجوم على اللغة العربية وادعاء بعض المشككين وجود أخطاء لغوية في القران كان لابد من تفنيد ما يدعونه عن طريق التحليل والدراسة لإظهار دقة المعاني والالفاظ وذلك عن طريق:

أولا: بيان دور متن اللغة والدلالة المعجمية في ترجيح التأويلات المختلفة للنص وذلك بدراسة أثر الحروف المتقاربة المخرج و الحروف المتقاربة في الصوت وأثر تغايرها في النص القرآني كذلك دراسة أثر الترادف في تغير المعني.

ثانيا: بيان دور المنحى الصرفي في فهم النص القرآني عن طريق دراسة أثر اتفاق كلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى وكذلك دراسة أثر التعدي واللزوم في الفعل على دلالة النص ودراسة أثر التجرد والزيادة في الفعل على دلالة النص القرآني.

ثالثا: بيان دور التركيب النحوي في فهم النص القرآني ويكون عن طريق دراسة أثر التعبير بالجملة الفعلية وكذلك دراسة أثر التعبير بالجملة الأسمية على النص.

كذلك أيثار أحد حركات الأعراب مكان الأخرى وأثرها في فهم النص.

فقد زعم بعض المستشرقين ان القران الكريم به أخطاء نحوية وهذا عار تماما عن الصحة اذ يتبين بدراسة اللغة العربية ان القران الكريم يحتوي على اسرار لغوية وبلاغية تدل على عظمة اللغة العربية.

المقدمة:

حمد الله باب العبادة، وشكره سبب الزيادة، ثم الصلاة والسلام على جوهرة القلادة، وجوهر السعادة، اللهم صل عليه وعلى آله صلاة تمنحنا الريادة والقيادة، وسلم تسليمًا كثيرًا ينجينا من حر نارٍ وقَّادة، وأما بعد:

فبين تمام البيان فضل اللغة العربية على سائر اللغات، قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)} [الشعراء: 192 – 195]

ومعلوم أنه لا يمكن فهم القرآن، وتدبر معانيه ومعرفة أسراره، إلا بالتمكن من معرفة علوم اللغة؛ فالقرآن الكريم هو المعجزة الكبرى للنبي – صلى الله عليه وآله وسلم– وذلك لأن قريشًا خاصة والعرب بصف عامة قد بلغوا

من قوة الفصاحة قدرًا لا يجارى، ونزل القرآن الكريم بلغتهم، ومع كل هذا فقد تملكهم العجب وعلتهم الدهشة، وأصابتهم الحيرة، وتحداهم القرآن الكريم على الإتيان بمثله، فعجزوا حتى بآية من مثله.

فمن تأمل في القرآن الكريم وجد فيه منبع أسرار العربية ودقائقها، وعلومها وحقائقها وسائر فنونها من نحوها وصرفها، غريبها وعجيبها، بل لو تفحص منصفٌ السرَ الكامنَ وراء خلود اللغة، والحفاظ عليها لوجد أنه هو القرآن الكريم؛ إذ أنه هو المعطى للغة العربية مزايا عظيمة منها على سبيل المثال لا الحصر:

- سبب توحيد جميع لهجات العرب جميعا المعروفة في الزمن السابق، كلهجة هذيل وحمير وقريش، وهو ما أهل اللغة العربية لتصير اللغة الأم بين جميع لغات العرب ولهجاتهم.
- تحولت اللغة العربية في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من لغة محدودة لا يتعدى ناطقوها سكان الجزيرة العربية والحجاز، إلى لغة عالمية شملت الحضارة الفارسية، واليونانية، والأندلسية، والعثمانية.
- أنشأ العلماء الذين أرادوا خدمة القرآن للغة العربية علومًا وقواعد سواء على محور نثرها أو نظمها من الشعر؛ وذلك لتعرف بها، ولتكون اللغة بتلك القواعد لها خصائص مستقلة لها غيرها من اللغات.
- ساهمت علوم القرآن في تنمية الذوق وجمالية اللغة، وذلك لما للقرآن الكريم من تأثير في النفس والذوق والحس.

ولكن اللغة العربية في عصرنا الحاضر تواجه تحديات كثيرة متنوعة المنازع، شرسة الطرق، تتمثل في ضعف حال المسلمين وشتاتهم، أضف إلى ذلك تأثير القوى الغربية على العالم، وكذلك التأثير الإعلامي العالمي والمحلي الذي أفقد كثيرا من قيمة اللغة العربية بين أبنائها أولا، والتبشير باللغة الإنجليزية على أنها لغة الحضارة والعلم، وضخ في نفوس النابتة أن اللغة العربية لا ترقى أن تكون لغة عالمية مؤهلة لقيادة العالم، أو مهيأة لتكون لغة الحوار والتفاهم، وعلى هذا فالتحدي الذي يواجه اللغة العربية اليوم مرجعه الأساسي هو الشعور المبالغ فيه بأهمية اللغة الأجنبية، والذي نتج غالبا عن الانبهار بكل ما هو أجنبي، وترسخ الظن الزائف الذي يملأ بعض النفوس الضعيفة ومؤداه أن التقدم لن يأتيَ إلا بإتقان اللغة الأجنبية فقط من قبل الجميع.

- **سبب اختيار الموضوع:**

قصد الباحث لاختيار الموضوع لبعض الأسباب:

- ما لمس من تخاذل بعض الفئات العلمية عن مناصرة لغة القرآن والذب عنها ضد الهجمات الضارية التي تلاحقها، وتتهمها بالصعوبة والتعقيد تارة، أو التخلف والرجعية أخرى، وأنها لم تعد مناسبة لهذا العصر، وجر هذا الإحساس انصراف الشباب عن تعلم لغة القرآن وتدبر أسرارها، مما جعلهم ينظرون إلى بعض معاني القرآن باضطراب وضبابية، وشعور كامن داخل عقولهم أنهم لن يستطيعوا فهمه أبدًا.
- لما استشعر من الخوف الناشئ عن تلك المحاورات التي يراها الباحث في بعض غرف التواصل الاجتماعي على الانترنت، التي يروج فيها بعض أعداء الأمة والدين بعض الشبه على ضعيفي الثقافة اللغوية والحصيلة المعرفية العربية أن القرآن يحوي بين جنباته بعض الأخطاء اللغوية، ومن ثم فلا فائدة من قراءته، ثم يعمدون إلى بعض

آي القرآن التي جاءت في ثوب رائق من البلاغة العالية فيختبرونها في قالب سطحي من القواعد البدائية العربية، مستغلين ضعف المتلقي المعرفي، فيستثيرون جهله، وأنه سقط على مغمز في القرآن الكريم، ومن ثم عليه أن يهجره لأن الذين سبقوه كانوا مسيطر عليهم الخوف من المجتمع والحكومات فلم يستطيعوا أن يواجهوا تلك النقاط التي عرفها هو وأقرانه من أخطاء القرآن.

■ منهج البحث:

يتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك باختيار بعض الآيات التي قد يتبادر إلى الذهن أن فيها بعض الأخطاء، فيجليها عن طريق التحليل اللغوي والتبصرة المعرفية، وكذلك يعمد الباحث – من خلال ذلك المنهج– إلى بعض الآيات التي قد يتبادر إلى الذهن صلاحية نوع من أنواع الكلمة فأتى غيره، فيجلي السبب لإيثار الحكيم– جل جلاله– هذا النمط اللغوي على غيره، سواء على مستوى الحرف أم الكلمة أو التركيب النحوي.

■ تساؤلات البحث:

اثار الباحثَ بعضُ التساؤلات، فنهض بهذا البحث للإجابة عنها، ومنها:

- ما السر في تفضيل بعض الألفاظ على بعض في النمط القرآني؟
- كيف يتسنى للباحث أن يميز بين ما هو صحيح لغويًا وما هو دون ذلك؟
- ما هي جهود علماء التفسير والعربية في خدمة النص القرآني؟
- كيف يمكن للناشئة أن يعودوا لفهم النص القرآني والثقة بمضمونه؟
- كيف يمكن للشباب المسلم أن يمتلك السلاح المعرفي الذي يرد به غارات المشككين؟

■ الدراسات السابقة:

شغل القرآن الكريم أفكار الناس قديمًا وحديثًا، واهتم المحبون – بل والمبغضون – بدراسة لغته المباركة ليتيسر لهم فهمه والاطلاع على أسراره، ليُفتح لهم كنزُه الثَّر الغزير، واشترطوا على من تصدر لتفسير القرآن، أو حتى الاستناد عليه في الفتاوي إتقان اللغة العربية، ومن ثَمَّ اتكأ الباحث في رحلته البحثية على عدة أبحاث متعددة أنشأها العلماء في هذا المجال ومنها:

- دراسة " فضل حسن عباس"، اسمه: "أثر اللغة العربية في تذوق معاني القرآن الكريم وفهمه"، وهو بحث تم تقديمه للمجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية العدد 1، عام 2005، الموافق 1426هـ، وهو بحث يهدف إلى بيان أثر اللغة العربية في فهم النص القرآني وتفسيره عن طريق معرفة قواعد تلك اللغة وأصولها، التي تتمثل في استجلاء دقائق ألفاظها ومعانيها ودلالتها، والاطلاع على أحكامها النحوية والوظيفية، ولطائفها البيانية، والوقوف على بعض حروف المعاني وما تكنه بداخلها من دلالات لها تأثيرها في تفسير الآيات.
- دراسة د/ محمد حسن حسن جبل، أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر، والعميد الأسبق لكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالمنصورة، وهو كتاب بعنوان :"دفاع عن القرآن الكريم أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن الكريم واللغة العربية"، وهو كتاب طبعته دار " البربري للطباعة الحديثة بسيون غربية، في طبعته الأولى عام 2000م، أعده مؤلفه ليرد الهجومَ على القوَام الثقافي للإسلام والمسلمين في العالم، الذي تقوم به جبهات متعددة،

ومنها بل ومن أخطرها: هو من يتخذ اللغة العربية هدفًا له، فيوجه الطعن إليها، مدركًا أن زعزعة أيٍّ من ثوابت اللغة العربية: أصالة ألفاظها ومعانيها أو خصائصها يُخِّلُ بأساس الاحتجاج بنصوص مصادر التشريع الإسلامي: القرآن والسنة، والآثار الشارحة لهما، وبسند الاستنباط منها، ويجعل العربية في نفسها في متناول ذوي الأهواء.

- دراسة :" د. طاهر محمود محمد يعقوب"، وهي بعنوان :" اللغة العربية ومكانتها العلمية في فهم القرآن وتفسيره"، وهو بحث قدمه مؤلفه لمجلة القسم العربي بجامعة بنجاب، لاهور– باكستان، العدد الثالث والعشرون، 2016م، يهدف عن طريقه التعريف بالمقصود باللغة العربية وقواعدها، وأنها تعد من أهم شروط المفسر، وأبان أيضًا أن نفسَ اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ونقل كذلك مظاهر أهمية اللغة العربية، واهتمام الصحابة – رضوان الله عليهم باللغة العربية، وساق أقوال العلماء في بيان أهمية قواعد اللغة العربية، وإنكار الجهل بها في التفسير، ثم ذكر بعض النماذج على أهمية فهم اللغة العربية في تدبر معاني القرآن الكريم.

وغير ذلك من الدراسات التي أفادت الباحث في إعداد هذا البحث.

■ **المبحث الأول:** دور متن اللغة والدلالة المعجمية في ترجيح التأويلات المختلفة للنص القرآني، ويحتوي ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** الحروف المتقاربة المخرج وأثر تغايرها في دلالة النص القرآني.

ذكر العلماء أن من أهم ما يميز اللغة العربية تفصيلها المبكر لوظائف الحروف ومخارجها، فذكروا أن الجهاز الصوتي للإنسان يشمل كل الأعضاء التي لها تأثير مباشر في عملية إصدار الصوت، وأبانوا أنه لما كانت الأصوات اللغوية العربية تصدر في حالة خروج هواء التنفس (الزفير) من الرئتين مارًا بالقصبة الهوائية، فالحنجرة، فتجويف الحلق أسفله فأعلاه، ثم يسلك الهواء سبيله إلى الخارج إما عن طريق الفتحة الخلفية للتجويف الأنفي (المتصلة بأعلى الحلق) فيمر بالتجويف الأنفي ثم يخرج من الأنف، وإما يتجه من أعلى الحلق إلى تجويف الفم فيمر بين اللسان وسقف الحنك محوطًا بالأسنان من الجانبين حتى يخرج من بين الشفتين[1].

وقد ذكر العلماء القدامى عدد الحروف ومخارجها وصفاتها، على النحو الآتي: حُروفُ المعجَمِ التي أُلِّفَ منها جميع الكلامِ تِسعةٌ وعشرونَ حرفاً. وهيَ هذِهِ على مَخَارِجها:

- الهَمْزةُ، والهاءُ، والعين، والحاءُ، والغَيْنُ، والخاء: هذِه الحروفُ الحَلْقِيَّة.
- والقَافُ، والكاف: لهَوِيَّتان.
- والجيم، والشّين، والضَّاد: شَجْرِيَّة.
- والصَّادُ، والسينُ، والزَّاي: أسَلِيَّة.
- والطَّاء، والدَّال، والتاء: نِطْعِيَّة.
- والظّاءُ، والذَّال، والثَّاء: لِثَوِيَّة.
- والرَاء، واللّام، والنُّون: ذَلْقِيَّة.

- والفَاءُ، والبَاء، والميم: شَفَوِيَّة.
- والوَاوُ، واليَاءُ، والألف: هَوائِيّة.

ومخَارِجُها ستَّةَ عشرَ مَخْرجاً: ثلاثَةٌ من الحَلْق، وعَشْرَةٌ من الفَم، وثَلاثَةٌ من الشفة.

فأقْصاها مَخْرجاً الحُروفُ الحَلْقِيَّة. وللحَلْقِيّة ثلاثةُ مَخَارِجَ: فمخرج الهَمْزةِ، والهاءِ من أَقْصى [الحلق]، ومخْرَجُ العَيْنِ، والحَاءِ مِنْ وسَطِ الحَلْق.

ومخرَجُ الْغَينِ، والخاء، من أَدْنَى الحَلْق، ثم أدنى من ذلك مخرج القاف من أقصى اللهاة.

ثم مخرج الكاف من أدنى اللهاة، وهي اللَّحْمَةُ المشرِفَةُ على الحَلْق، ثم أَدْنَى من ذلكَ مخرَجُ الجِيم، والشّين، ثم مخرَجْ الضَّاد. وكُلُّها شَجْرِيَّة، مخرَجها من شَجْرِ الفَم، وهو مَفْرَجُه.

ثم أَدْنَى من ذلكَ مخرَجُ الصَّادِ، والسّينِ، والزَّاي، من أَسَلَةِ اللِّسان، وهي مُسْتَدَقُّه، ثم أَدْنَى من ذلكَ مخرَجُ الطَّاءِ، والدَّالِ، والتَّاءِ، من نِطْعِ اللّسان، ثم أَدْنَى من ذلكَ مخرَجُ الظّاء، والذَّالِ، والثّاء، من اللِّثَةِ، وهي ما حَوْلَ الأَسْنان، ثم أَدْنَى من ذلكَ مخرَجُ الرّاءِ، ثم مخرَجُ اللّام.

ثم يأتي بعد ذلك مخرج حرف من أهم الحروف العربية وهو حرف النون، وكلّ هذه الحروف ذَلْقيّة، مخارِجُها من ذَلْقِ اللّسانِ، وذلق اللسان هوَ حَدُّه، ثم نبحر بعد ذك في المخارج فنجد أَدْنَى من ذلكَ، وهو مخرَجُ الفَاءِ من باطِنِ الشفة أما مخرَجُ الباءِ، والميمِ فهما من ظاهِرِ الشَّفَة، ثم مخرج الواو، والياء، والألف – حروف المد– من هواء بين الشفتين[2].

وعلى ذلك فقد وردت بعض الأمثلة في القرآن الكريم اقتربت مخارجها وتجاورت ألفاظها، واختلفت معانيها، ودلت في حناياها على سر عظيم وجليل من آثار فهم اللغة العربية في تدبر معاني النص القرآني، ومن ذلك ما يلي:

{وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُون إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿﴾} [الأنعام ﴿﴾ ﴿﴾ ﴿﴾] في هذه الآية من سورة الأنعام وردت لفظتان متجاورتان، متماثلتان في الصوت، يختلفان فقط في حرفي (الهاء في ينهون، والهمزة في ينئون)، وقد لفت ذلك التقارب اللفظي بعض العلماء، فذكروا في تفسيراتهم أثر ذلك التقارب على فهم القرآن الكريم وعظيم تدبره، قال البيضاوي: {" وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ أي ينهون الناس عن القرآن، أو الرسول صلّى الله عليه وسلّم والإيمان به. وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ بأنفسهم أو ينهون عن التعرض لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وينأون عنه[3].

وذكر ابن رشيق أثر هذا التقارب في باب الجناس، واتخذه مثلا للجناس المضارع، قال: "وأصل المضارعة أن تتقارب مخارج الحروف، وفي كلام العرب منه كثير غير متكلف، والمحدثون إنما تكلفوه؛ فمن المعجز قول الله عز وجل: " وهم ينهون عنه وينأون عنه "[4].

وبهذا صار القرب هنا بابًا للتجانس الصوتي، الذي بابُه التجانس المعنوي؛ فالتناسق بين اللفظ والمعنى هنا يوجب التعبير بهاتين اللفظتين، ولو قال:" وهم ينهون عنه ويبعدون عنه، أو لو قال: وهو يُنَفِّرون عنه وينئون عنه"، لما كان لها الوقع نفسه اللذيذ في السمع، والمعني الجميل في القلب، ولذا عده ابن رشيق معجزًا.

وفي هذا تأنيب لهم على فعلهم، ومخالفتهم لما وقر في قلوبهم، واختار للفظتين حرفين حلقيين لما في ذلك من إشعار بأن أفعالهم تلك ليست نابعةً من قلوبهم، بل هي مجرد ظواهر حلقية يشغبون بها على ما يشع من قلوبهم من ميل إلى الحق.

- **{وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (1)}**[5]

في هذه الآية يعيب الله على بعض الناس الذين لا همَّ لهم إلا التقاط عيوب الناس، وتتبع عوراتهم، يقول أبو القاسم القشيري في تفسير هذا التركيب الازدواجي: "قال: رجل همزة لمزة: أي كثير الهمز واللّمز للناس وهو العيب والغيبة.

ويقال: الهمزة الذي يقول في الوجه، واللّمزة الذي يقول من خلفه.
ويقال: الهمز الإشارة بالرأس والجفن وغيره، واللّمز باللسان.
ويقال: الهُمزة هو الشخص الذي يعيب الإنسان بما فيه من العيوب، أما اللمزة فهو الذي يعيب الإنسان بهتانًا بما ليس فيه.[6]

لقد جمع هذا " الهمزة اللمزة" كل صفات النفاق، ولذا جاء التعبير بتلكم الصيغ المنفرة، وهو تقريع لمن تلك صفته من الكفار، ومن يحذو حذوهم من المنافقين.

وقد ذكر الشيخ محمد متولي الشعراوي قصة تعرض لها إبَّان طلبه للعلم في الأزهر الشريف في تلك الآية، نوردها هنا لندلل على عظمة اللغة العربية في فهم القرآن الكريم، يقول:" ولي أنا وزميلي الدكتور محمد عبد المنعم خفاجة – أطال الله بقاءه – قصة مع الجناس، ففي إحدى حصص البلاغة، قال الأستاذ: لا يوجد في القرآن جناس تام إلا في هذه الآية بين ساعة وساعة، لكن يوجد فيه جناس ناقص، فرفع الدكتور محمد أصبعه وقال: يا أستاذ أنا لا أحب أنْ يُقال: في القرآن شيء ناقص.

فضحك الشيخ منه وقال له: إذن ماذا نقول؟ وقد قسم أهل البلاغة الجناس إلى تام وناقص: الأول تتفق فيه الكلمتان في عدد الحروف وترتيبها وشكلها، فإن اختلف من ذلك شيء فالجناس بينهما ناقص، كما في قوله تعالى: {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ} [الهمزة: 1] فبين هُمزة ولمزة جناس ناقص؛ لأنهما اختلفا في الحرف الأول.

أذكر أن الشيخ أشار إليَّ وقال: ما رأيك فيما يقول صاحبك؟ فقلت: أرى أن نسميه جناس كُل، وجناس بعض بمعنى: إذا ما اتفقت الكلمتان في كل الحروف فهو جناس كل، وإذا ما اتفقت في بعضها فهو جناس بعض، وبذلك لا نقول في القرآن: جناس ناقص[7].

ولعل المطلع على هذا السرد الطيب يرى كيف كان طلاب الأزهر الشريف في مراحلهم الأولى لهم شغف باللغة، وشغفهم باللغة أوصلهم لتعظيم كتاب الله، والغيرة عليه، وإجهاد الذهن لتبرئته حتى مما لا يعيب ولكن يشي بالنقص اللفظي، وهذا باب في التشكيل الوظيفي للأصوات؛ فقد استخدم التشكيل الوظيفي للصوت ليعبر عن المشاكلة الصوتية التي تقرب المعنى مستخدما الفونولوجيا، فكلما اقتربت الأصوات وافترقت المعاني كلما تشعب الفكر في المراد، وتهامست الأفكار في المقصود، وتم قرع الذهن قرعًا رقيقًا لينتبه لما بين اللفظتين من تشابه في الجرس الصوتي وتشاكل في المعنى المراد .

المطلب الثاني: الحروف المتقاربة الصوت وأثر تغايرها في دلالة النص القرآني.

الإبدال بين الدال والضاد (ترضى – تردى)

قد جاء النص القرآني موافقًا في اختيار الألفاظ لما تداولته العرب في بواديها ونواديها، ومن ذلك التعبير بالألفاظ المتقاربة في جرس الصوت، وإن كانت متباعدة في المعاني، بل قد تكون متضادة، فمثلا في سورة طه يقول الله جل وعلا مخاطبًا سيدنا موسى :{"{وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ **فَتَرْدَى** } [طه:] ، لفظة "فتردى" معناها :"تهلك"، أما في سورة الضحى فيخاطب الله نبيه – صلى الله عليه وسلم – {"{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ **فَتَرْضَى** } [الضحى: 6]"} واللفظة الموافقة في الجرس الصوتي هي "فترضى"، يقول الإمام البيضاوي: " وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى" وهذا من الله سبحانه وتعالى وعد شامل لحبيبه – صلى الله عليه وسلم–لما أعطاه من كمال النفس وظهور الأمر وإعلاء الدين، وكذلك لما ادخر له من الخير العميم مما لا يعرف كنهه سواه، واللام الداخلة على حرف التسويف للابتداء، تدخل على الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير: ولأنت سوف يعطيك، وليست للقسم فإنها لا تدخل على المضارع إلا إذا اتصلت به النون المؤكدة، وجمعها مع سوف للدلالة على أن الإعطاء من المولى – جل وعلا– كائن لا محالة وإن تأخر فذلك التأخر يكون لحكمة[8].

أما آية سورة طه، فيقول الإمام الثعالبي: {" لا تصحبْ فاجراً لئلاَّ تتعلمَ من فجوره، قال ابن رُشْدٍ: لا ينبغي أنْ يصحب إلاَّ مَنْ يُقْتَدَى به في دينه وخيره لأَنَّ قرينَ السوء يُرْدِي قال الحكيم: [الطويل]

[إذَا كُنْتَ في قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُم ... وَلاَ تَصْحبِ الأردى فتردى مَعَ الرَّدِي]

عَنِ المَرْءِ لاَ تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ... فَكُلُّ قَرِينٍ بالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي[9].

ويقول الإمام الرازي في المفاتيح:"أَمَّا قَوْلُهُ: فَتَرْدى فَهُوَ بِمَعْنَى وَلَا يَصُدَّنَّكَ فَتَرْدَى وَإِنْ صَدُّوكَ وَقَبِلْتَ فَلَيْسَ إِلَّا الْهَلَاكُ بِالنَّارِ[10].

والفرق بين الكلمتين في بعض الأحيان هو الفرق بين صفتي الحرفين، فالضاد هي حرف مفخم، متلألئ وضيء، أما الدال فهي حرف مقلقل مستفل، فكأن الرضا يملأ القلب نورًا وضياءً، أما الردى فيسقط صاحبه ويقلقله في ضحضاح النار، يقول الأعشى

(تُلْزِمُ أَرْمَاحَ ذِي الجَدَّيْنِ سَوْرَتَنَا ... عِنْدَ اللِّقَاءِ فَتُرْدِيهِمْ وَتَعْتَزِلُ)[11]

ويروى:

تُلْحِمُ أَبْنَاَء ذِي الجَدَّيْنِ أن غَضِبُوا ... أَرْمَاحَنَا، ثُمَّ تَلْقَاهُمْ وَتَعْتَزِلُ

تلحم: أي تجعلهم لُحمة، بأن تطعم أبناء ذي الجدين إياها[12].

وهو ما تكرر في سورة الليل، يقول تعالى: {"{وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (11)} [الليل: 8 – 11]"}، يقول الكوراني: (وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ... (8) بحقوق اللَّه. (وَاسْتَغْنَى) بالحطام الفاني. (وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) بالنعيم الباقي، أو التوحيد. (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) فسنخذله وندله على الطريقة التي اختارها. وإطلاق التيسير؛ للمشاكلة. (وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (11)، ومعنى "تردى" في الآية الكريمة: سقط في حفرة القبر، أو سقط في قعر جهنم، أو جاء موته متسببًا عن الردى: وهو الموت. والنفي هنا يحمل معنى الاستفهام الإنكاري[13].

ومن ذلك أيضًا ما تسهم فيه اللغة في بيان المراد من النص القرآني، فيؤتى بلفظة

فيها أصوات متقاربة، شديدة التقارب والتعقيد، إذا وضعت في سياق آخر حُكم عليها بتنافر الحروف، ولكنها أتت في القرآن لتصور المعاناة التي يلقاها الكفار باستخدام الإيقاع الصوتي الناشئ عن أصوات الحروف، يصور الله – جل وعلا– مشهد الكفار يوم القيامة وهم يتدافعون في النار بقوله :{"{وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (91) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (92) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (93) **فَكُبْكِبُوا** فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (95)} [الشعراء: 91 – 95]"} .

إن لفظة:"فكبكوا"، لفظة ثقيلة ذات إيقاع صاخب مضطرب، يوحي بصوت زمجرة القِدر على النار، وكأن اصطلام الكفار وازدحامهم في بئر النار يشبه هذا الصوت المزعج المخيف، يقول الإمام النسفي في مداركه: فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94)

{فكبكبوا} انكسوا وطرح بعضهم بعض {فِيهَا}، في الجحيم {هُمْ} أي الآلهة {والغاوون} وعبدتهم الذين برزت لهم، والكبكبة تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرة إثر مرة، حتى يستقر في قعرها نعوذ بالله منها[14].

وهو ما أكد عليه الشيخ الشعراوي في خواطره فقال: الفعل كَبْكب، يعني: كبّوا مرة بعد أخرى على وجوههم، فهي تعني تكرار الكَبِّ، فكلما قام كُبَّ على وجهه مرة أخرى، وهي على وزن فعللة الدال على التكرار كما تقول: زقزقة العصافير، ونقنقة الضفادع. والمراد هنا الأصنام تكبّ على وجوهها، وتسبق مَنْ عبدها إلى النار، كما قال تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله حَصَبُ جَهَنَّمَ} [الأنبياء: 98].[15]

- **المطلب الثالث: أثر الترادف في تغاير المعنى:**

قد يأتي اللفظ القرآني دالا على معنى من معاني اللغة العربية، ويأتي لفظ آخر دالا على المعنى نفسه أو قريبًا منه، فيظن القارئ أن بينهما ترادفًا، وتماثلا في المعنى، ولكن تأتي اللغة العربية بمعاجمها اللغوية لتبين الفرق بين الكلمتين، وأن كل كلمة قد أتت لتدل على معنى مختص بها لا يجوز أن تشاركها فيه ما سواها، ومن ذلك ما يلي:

- **العقاب والعذاب:**

وقد وردت اللفظتان في القرآن الكريم، كل لفظة منها في سياق مغاير للأخرى، من ذلك لفظة "عقاب " والتي جاءت ما يزيد عن العشرين مرة، ومنها:

- {سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (211)} [البقرة: 211]
- {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (11)} [آل عمران: 11]
- {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (13)} [الأنفال: 12، 13]
- {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (12) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (13) إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (14)} [ص: 12 – 14]، وغير ذلك من الآيات التي تدلل على أن العقاب يأتي بعد الذنب.

أما لفظة "عذاب" والتي أتت ما يزيد عن الثلاثمائة مرة، فقد أتت في سياق الإهانة، حتى لو لم يكن ثمت ذنب، ومن ذلك:

- {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (49)} [البقرة: 49].

- {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147)} [النساء: 147]
- {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (98)} [يونس: 98]
- {وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (25)} [يوسف: 25].

فهذه الآيات منها ما يدل على العذاب الناتج عن فعل الذنب، ومنها ما لا يدل على ذلك، وفي معاجم اللغة العربية، (الْعَذَاب) الْعقَاب والنكال وكل مَا شقّ على النَّفس وَفِي الحَدِيث (السّفر قِطْعَة من الْعَذَاب) (ج) أعذبة.[16]

فالسفر هنا قطعة من العذاب، مع أنه ليس جزاءً على ذنب؛ وقد جاء في القرآن الكريم بمعنى ما شق على النفس، ومنه ما فعله فرعون ببني إسرائيل، وكذلك ذلك الاستفهام الإنكاري، ما المقابل الذي سيحصل عليه الله من تكليفكم بما يشق على نفوسكم؟

أما العقاب فقد جاء تعريفه المعجمي: {"(عاقب) بَين الشَّيْئَيْنِ أَتَى بِأَحَدِهِمَا بعد الآخر وَفُلَانًا جَاءَ بعقبه وَفُلَانًا فِي الرحلة وَالْعَمَل أعقبه وَفُلَانًا بِذَنبِهِ معاقبة وعقابا جزاه سوءا بِمَا فعل، (عقب) فلَان تتبع حَقه ليسترده..."}[17]

وأغلب الآيات التي جاء فيها العقاب أتت بعد ذكر الذنب، وذلك لبيان العلة على المعاقبة، ومن هنا قامت اللغة العربية بدورها كأساس متين من أسس فهم القرآن الكريم.

ومن ذلك أيضًا لفظة واحدة، ولكن مرة تأتي مخففة، ومرة مشددة، وهي لفظة:" ميت"، وفي كل مناط تختلف الدلالة، فالمخفف يهنى إمكانية العودة، أو عدم تمام الموت، أما " ميِّت" بالتشديد فمعناه الميت بالفعل الذي لا رجعة له إلا يومَ الدين:

- {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (27)} [آل عمران: 26، 27].
- {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (95)} [الأنعام: 95، 96]
- {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (122)} [الأنعام: 122]
- {وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (15) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (16) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (17)} [إبراهيم: 15 – 17]

- {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (16)} [المؤمنون: 12 – 16]
- {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (48) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (49)} [الفرقان: 48 – 50]
- {وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} [الزخرف: 11].

وغير ذلك من الآيات التي تشابهت فيها الألفاظ، ولكن التخفيف فيها له دلالة على إمكانية العودة، مثل هذا الرجل الذي كان ميتًا فأحياه الله وجعل له نورًا يمشي به في الناس، والموت هنا ليس موتًا على الحقيقة، ولكن عدم انتفاع بالحياة، وكذلك البلد الميت الذي أنزل الله عليه الماء بقدر معلوم، وبطريقة ربانية دقيقة فأحياه وأنشره، وفي هذا دليل ملموس على إمكانية إحياء الله النفوس.

أما "مَيِّت" بالتشديد فهو دليل على ثقل الموت وعدم إمكانية رجوعه للحياة إلا يوم القيامة، وهو ما عبر عنه ربنا صراحة بقوله: {") ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (16)} [المؤمنون:"}.

وقد فصل الإمام السمين الحلبي في الدر المصون، هذا الأمر فقال :"قوله: {مِنَ الميت} اختلف القُرَّاء في هذه اللفظة على مراتب: فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكرٍ عن عاصم لفظ «المَيْت» من غير تاء تأنيث مخففاً في جميع القرآن، وسواءً وُصِفَ به الحيوانُ نحو: {تُخْرِجُ الحي مِنَ الميت} أم الجمادُ نحو قوله تعالى: {إلى بَلَدٍ مَّيِّتٍ} [فاطر: 9] {لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ} [الأعراف: 57] منكَّراً أو معرَّفاً كما تقدَّم ذكره إلا قولَه تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ} [الزمر: 30]، وقولَه: {وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ} [الآية: 17] في إبراهيم، مما لم يَمُتْ بعدُ فإن الكلَّ ثَقَّلوه، وكذلك لفظُ «الميتة» في قوله: {وَآيَةٌ لَّهُمُ الأرض الميتة} [يس: 33] دونَ الميتةِ المذكورةِ مع الدمِ فإنَّ تَيْكَ لم يشددها إلا بعضُ قُرَّاء الشواذ، وقد تقدَّم ذكرُها في البقرة، وكذلك قولُهُ: {وَإِن يَكُن مَّيْتَةً} [الأنعام: 139] و {بَلْدَةً مَّيْتاً} [الزخرف: 11] و {إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً} [الأنعام: 145] فإنها مخففات عند الجميع. وثَقَّل نافع جميعَ ذلك، والأخوان وحفص عن عاصم وافقوا ابن كثير ومَنْ معه في الأنعام في قوله: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ} [الآية: 122] وفي الحجرات: {أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً} [الآية: 12]، و {الأرض الميتة} في يس، ووافقوا نافعاً فيما عدا ذلك، فجَمعوا بين اللغتين إيذاناً بأن كُلاًّ من القراءتين صحيحٌ، وهما بمعنًى، لأنَّ فَيْعِل يجوزُ تخفيفُه في المعتل بحذف إحدى يائيه فيقال: هَيْن وهيِّن ولَيْن وليِّن ومَيْت ومَيِّت، ومنه قولُ الشاعر فَجَمَعَ بين اللغتين:

ليسَ مَنْ ماتَ فاستراحَ بميْتٍ ... إنَّما المَيْتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ

إنما المَيْتُ مَنْ يعيشُ كئيباً ... كاسِفاً بالُهُ قليلُ الرَّجاءِ.[18]

وبهذا تكون اللغة العربية عاصمة لنا من الزلل في فهم النص القرآني.

المبحث الثاني: دور المنحى الصرفي (الفنولوجيا) في فهم النص القرآني.

استلهم العلماء أثر المنحى الصرفي في التشكيل الوظيفي لصوتيات الحروف، ومدى ما يؤصله لفهم النص القرآني، وجاء هذا المبحث ليناقش هذا الدور الذي يؤطر الصوت ويوظفه ليوسع دائرة الفهم للنص القرآني.

ويحتوي هذا المبحث على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اتفاق الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى:

عرفت اللغة العربية ما يسمى بالتماثل اللفظي، أو الجناس التام، وفيه تأتي الكلمتان متحدتي الحروف، مختلفتي المعني، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الروم: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (55)} [الروم: 55].

جاء في هذه الآية الكريمة لفظ مكررًا مرتين، وهو " الساعة"، الأولى بمعنى القيامة، والثانية بمعنى الوقت المعلوم من أوقات اليوم، وقد قال الشيخ الطاهر بن عاشور، في التحرير عند تفسيره لتلك الآية: {لَمَّا ذَكَرَ عَدَمَ انْتِفَاعِ الْمُشْرِكِينَ بِآيَاتِ الْقُرْآنِ وَشُبِّهُوا بِالْأَمْوَاتِ وَالصُّمِّ وَالْعُمْيِ فَظَهَرَتْ فَظَاعَةُ حَالِهِمْ فِي الْعَاجِلَةِ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِوَصْفِ حَالِهِمْ حِينَ تَقُومُ السَّاعَةُ فِي اسْتِصْحَابِ مُكَابَرَتِهِمُ الَّتِي عَاشُوا عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا، بِأَنَّ اللَّهَ حِينَ يُعِيد خلقهمْ وينشىء لَهُمْ أَجْسَامًا كَأَجْسَامِهِمْ وَيُعِيدُ إِلَيْهِمْ عُقُولَهُمْ يَكُونُ تَفْكِيرُهُمْ يَوْمئِذٍ عَلَى وِفَاقِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ السَّفْسَطَةِ وَالْمُغَالَطَةِ وَالْغُرُورِ، فَإِذَا نُشِرُوا مِنَ الْقُبُورِ وَشَعَرُوا بِصِحَّةِ أَجْسَامِهِمْ وَعُقُولِهِمْ وَكَانُوا قَدْ عَلِمُوا فِي آخِرِ أَوْقَاتِ حَيَاتِهِمْ أَنَّهُمْ مَيِّتُونَ خَامَرَتْهُمْ حِينَئِذٍ عَقِيدَةُ إِنْكَارِ الْبَعْثِ وَحُجَّتُهُمُ السُّفِسْطَائِيَّةُ مِنْ قَوْلِهِمْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ [سبأ: 7]، .... وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا الْقَسَمَ يَتَخَاطَبُونَ بِهِ فِيمَا بَيْنَهُمْ كَمَا اقْتَضَتْهُ آيَةُ سُورَةِ طه، أَوْ هُوَ حَدِيثٌ آخَرُ أَعْلَنُوا بِهِ حِينَ اشْتَدَّ الْخِلَافُ بَيْنَهُمْ لِأَنَّ الْمَصِيرَ إِلَى الْحَلِفِ يُؤْذِنُ بِمُشَادَّةٍ وَلَجَاجٍ فِي الْخِلَافِ. وَفِي قَوْلِهِ: السَّاعَةُ وساعَةٍ الْجِنَاسُ التَّامُّ." [19]

والجناس التام، أو التماثل اللفظي ورد في القرآن في مواضع كثيرة، يعصمنا فهم اللغة من الوقوع في الخطأ في فهم القرآن فيها، ومن ذلك ما استخرجه أمير المؤمنين في الحديث من قوله تعالى :{"{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (43) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (44)} [النور:43- 44]"} فهو – سبحانه – يتساءل – محركًا همم الباحثين عن الفضيلة –: ألا ترى بديع صنع الله في تلك اللوحة البديعة التي لا تفتر تكشف عن منظر بديع في القبة الزرقاء فوقك من سماء صافية ثم سحاب أبيض ثم سحاب مثقل بالمطر كأنه الجبال، ثم ضوء خاطف يكاد لشدة إبهاره يذهب بالعيون الباصرة، ثم جعل لك صفحة الكون كلَّها على هذا الشكل من التغير الدائم في تعاقب الليل والنهار، فيا من يتمتع فقط بعينه ولا

يستخدم عقله: اعلم أنك ارتضيت بالدون من النعم؛ فنعمة البصر وتقليبه في المروج الخضراء والأمواج الزرقاء والصحارى الجرداء ثم ينتهي الرِواء بانتهاء الرؤية لهو الغبن بعينه، أجْلِ الغشاوة عن عين بصيرتك فهذا ميدان البصائر لا ميدان الأبصار.

وهذا المثال استخرجه ابنُ حجر العسقلاني ثم المصري؛ على ما حققه الإمامُ السيوطي في شرح العقود، فذكر هذا الأمر ونسبه لابن حجر واستخرج هو من السنة جناسًا واحدًا لم يعرف تخريجه، وأمثلة أخرى أو أجناسًا آخر من السنة ذكر تخريجها، فقال بعد ذكر آية الروم: {"..... قيل: ولم يقع في القرآن غير هذه الآية، واستنبط شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر آية أخرى، وكذلك قوله – –صلى الله عليه وسلم – للصحابة حين نازعوا جريرًا: " دعوا جريرًا والجرير" أي: زمامه. قلت لم أقف على هذا الحديث، ولكن وجدت قوله – –صلى الله عليه وسلم – " من تعلم صرف الكلام ليسحر به قلوب الناس لم يقبل الله منه صرفًا ولا عدلا " رواه أبو داوود، الصرف الأول فصل الكلام كما فسره به أبو عبيدة، والثانية النافلة أو التوبة، وقوله:" من أمر بمعروف فليكن أمره ذلك بمعروف"، وقوله: " أول من يدخل النار سلطان لم يعدل في سلطانه " رواه الديلمي "[20]". انتهى كلام السيوطي بنصه.

وهذان المثالان من الجناس من القرآن اللذان أوردهما السيوطي، هما اللذان يدَّعي علماء البلاغة القدامى والمحدثون أنهما – فقط – المثالان اللذان يصلحان للجناس التام في القرآن.

وهذا القول – على فرض صدقه لا يعيب القرآن الكريم، فليس يَهُمُّ أن يكون في القرآن جناس تام أو لا يكون، فما الجناس التام إلا نوع صغير جدًا من الجناس بوجه عام – والذي عدد السيوطي أنواعه أربعمائة نوع –، وما الجناس – بكل ما يحمل من تعداد تقسيم – إلا نوع واحد من المحسنات البديعية، وما هذه إلا باب من الأبواب التي تتحقق بها موسيقى التعبير في فصيح الكلام، وهي الموسيقى التي بلغت كمالها وتمامها في القرآن.

لكن الأمرَ – من حيث هو– حقيق بالبحث والتقصي؛ لاتصاله بالقرآن الكريم من ناحية، ولعجبٍ فيه من ناحية أخرى؛ فمن البعيد – بل من المستغرب– ألا يحوي القرآن على سعته إلا مثالين اثنين من الجناس التام.

وإذا عدنا إلى الأمثلة المألوفة للجناس التام في القرآن الكريم نجد مثالا آخرفي سورة الرحمن{" وَالسَّماءَ رَفَعَها وَوَضَعَ الْمِيزانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا في الْمِيزانِ (8) "}: ولفظة الميزان في المواضع الثلاثة ليست بمعنى واحد، قال البغوي في المعالم: { " وَالسَّماءَ رَفَعَها، فَوْقَ الْأَرْضِ، وَوَضَعَ الْمِيزانَ، قَالَ مُجَاهِدٌ: أَرَادَ بالميزان العدل والإنصاف و الْمَعْنَى أَنَّهُ أَمَرَ بِالْعَدْلِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَلَّا تَطْغَوْا في الْمِيزانِ (8)}، أَيْ لَا تُجَاوِزُوا الْعَدْلَ. وَقَالَ الْحَسَنُ وقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ: أَرَادَ بِهِ الَّذِي يُوزَنُ بِهِ لِيُوصَلَ بِهِ إِلَى الْإِنْصَافِ وَالِانْتِصَافِ، وأصل الوزن التقدير قوله «أَلَّا تَطْغَوْا» يَعْنِي

لِئَلَّا تَمِيلُوا وَتَظْلِمُوا وَتُجَاوِزُوا الْحَقَّ في الْمِيزَانِ. وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ، بِالْعَدْلِ، وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَعَطَاءٌ: مَعْنَاهُ أَقِيمُوا لسان الميزان بالعدل. قال سفيان بن عُيَيْنَةَ: الْإِقَامَةُ بِالْيَدِ وَالْقِسْطُ بِالْقَلْبِ، وَلا تُخْسِرُوا، وَلَا تَنْقُصُوا الْمِيزَانَ، وَلَا تُطَفِّفُوا في الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ."}"[21].

والمعنى: أن مجاهدًا وغيره فهموا الأولى والثانية بمعنى العدل والثالثة بمعنى الميزان الذي يوزن به الأشياء.

وهذا يجعل الآيات الكريمة من الأمثلة الفريدة لتمام الجناس حتى لو اتخذ معنى الميزان في الموطنين الآخرين، لكن الأصح والأقرب لعقل الباحث أن يختلف معناه في الآيات الثلاث، فيكون في الآية الأولى بمعنى الشرع الذي توزن به الأعمال والأحكام في الجماعات، ويشهد لهذا الفهم الآية الخامسة والعشرون من سورة الحديد يقول ربنا – جل في علاه: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25)} [الحديد: 25]

فمن الواضح أن الميزان هنا لا يمكن أن يكون الآلة المعروفة بأدلة منها:

- قوله (أنزلنا)، والميزان المعروف بين أيدينا لم ينزل من السماء.
- وبدليل العطف على "الكتاب"، ولا يعطف على الكتاب إلا ما يقاربه شرفًا وكأنه منه يقتبس؛ فالعدل يتحقق بالتزام تعاليم الكتاب.
- ودليل الإطلاق في قيام الناس بالقسط، فميزان أهل الأرض لا يجبر الناس على القسط والعدل؛ فالغش في صناعة الموازين لا يخفى على مُطَّلِع، هذا في الآية الأولى.
- أما في آية الرحمن الثانية فيكون الميزان على هذا مصدراً ميمياً بمعنى الوزن أي التقدير والحكم. وفي القاموس من بين معاني الميزان أنه المقدار، والميزان: م، والعدل، والمقدار،""[22]، ومن بين معاني المقدار أنه القَدر بمعنى القضاء والحكم، وكذلك في لسان العرب ما يؤيد هذا الحكم، والمِيزانُ: العَدْلُ. ووازَنَه: عَادَلَهُ وَقَابَلَهُ. وَهُوَ وَزْنَهُ وزِنَتَهُ ووِزانَهُ وبوزانه أَي قُبَالَتَه. وَقَوْلُهُمْ: هُوَ وَزْنَ الْجَبَلِ أَي نَاحِيَةً مِنْهُ، وَهُوَ زِنَةَ الْجَبَلِ أَي حِذاءَه"[23].
- وبهذا يكون "الميزان" في الآية الكريمة على هذا بمعنى (ألا تطغوا في القضاء والحكم) أما الميزان في الآية الثالثة فبالمعنى المعروف. والنهي عن إخسار الميزان نهي عن الطغيان فيه؛ لأن التعامل بالميزان عملية ذات طرفين إذا جونب القسط فيها كان ذلك طغيانا أو إخسارًا حسب الطرف المنظور إليه.

أضف إلى ذلك العديد من الأمثلة القرآنية التي تنوعت فيها معاني المفردة القرآنية تبعًا لتنوع المشتقات، فمثلا لفظة "خير " اقتربت من المائتي مرة في القرآن الكريم، قد تأتي بمعنى المصدر، أي: الخير والصلاح، وقد تأتي بمعنى أفعل التفضيل، أي: أكثر خيرية ومنها:

- {وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (103)} [البقرة: 103]، أي أفضل وأكثر خيرية مما أرادوا.

- {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105)} [البقرة: 105]، أي: لا يريدون أن ينزل عليكم أي خير أو فضل.

- {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (271)} [البقرة: 271]، أي: أفضل خيرية لكم من إبداء الصدقات.

- {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (149) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (150)} (آل عمران)، أي: لو أردتم النصرة من الذين كفروا، فالله أفضل لكم وأكثر الناصرين استحقاقًا بلجوئكم له.

- {لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (12)} [النور: 12]، أي: ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم فضلا وكرمًا من هذا الاتهام الباطل.

- {فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ، بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36)} [النمل: 36]، أي: ما أعطاني الله من معجزات النبوة وتسخير ما لا يستسيغه العقل، هو أكثر خيرية من الهدايا والرشاوى التي تودون تقديمها لي لأقلع عن دعوتكم لدين الله.

- {فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24)} [القصص: 24]، في قصة سيدنا موسى مع فتاتي مدين، ابتهل موسى لمولاه طالبًا منه أن يمده من كرمه وفضله.

وهكذا تتفق الألفاظ مع تفاوت المعاني، والمنحى الصرفي هنا هو المفرق بين المعنيين، ولولا هذا الفهم للغة العربية ما استطاع باحث في لغة القرآن أن يتفهم تلك الأسرار المباركة الميمونة.

- **المطلب الثاني**: أثر التعدي واللزوم في الفعل على دلالة النص القرآني.

ينقسم الفعل من حيث احتياجه لمفعول به، أو اكتفائه للمفعول على قسمين:

- متعدٍ ويسمى متجاوزا، أي يجاوز الفاعل إلى المفعول به بنفسه، وعلامته أن تتصل به هاء تعود على غير المصدر، نحو: محمد قابله أحمد، وأن يصاغ منه اسم مفعول تام، أي: غير مقترن بحرف جر أو ظرف نحو: مضروب، وقد يتعدى الفعل لمفعول واحد، واثنين، وثلاثة.[24]
- لازم، ويسمى قاصرا، واللازم هو الفعل الذي يكتفي بفاعله، ولا يحتاج إلى مفعول به، مثل فرح ووقف، وجلس.

وقد يأتي الفعل الواحد مرة لازمًا وأخرى متعديًا لمفعول واحد واثنين وثلاثة، وكلٌّ جاء في القرآن، واللغة العربية هنا يسهم فهمها في تدبر كلام الله، ولنأخذ لذلك مثلا، وهو الفعل "صدق".

- {قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (95)} [آل عمران: 95]
- {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا [الأحزاب:]
- {قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (52)} [يس: 52]

هذه الآيات الثلاث جاء فيها الفعل الماضي " صدق" يعبر عن اليقين والتصديق وإنجاز الموعود، وهو فيها فعل لازم.

- ومعناه في الآية الأولى في سورة آل عمران أمر بالترديد باللسان والتصديق بالقلب بصدق الله فيما وعد من النصر والتمكين للدين، وعلى هذا فالجملة :"صدق الله" فعل وفاعل، ولا شيء غير ذلك، يقول الإمام النسفي عند تفسيره لتلك الآية التي في سياق الرد على اليهود: " {قُلْ صَدَقَ الله} في إخباره أنه لم يحرم وفيه تعريض بكذبهم أي ثبت أن الله تعالى صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون {فاتبعوا مِلَّةَ إبراهيم} وهي ملة الإسلام التي عليها محمد عليه السلام ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم إلى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم وألزمتكم تحريم الطيبات التي أحلها الله لإبراهيم ولمن تبعه {حَنِيفاً} حال من اتبع إبراهيم أي مائلا عن الأديان الباطلة {وَمَا كَانَ مِنَ المشركين}[25].
- وفي الآية الثانية يعبر عن أعلى درجات اليقين القلبي الذي يجعل القلب أعلى بصيرة من العين؛ فالمؤمنون رأوا الأحزاب وحشودهم وعتادهم، ومع هذا تذكروا موعود رسولهم، وأنهم منصورون لا محالة فأعادوا الإقرار بتصديق النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – وزادت المحن قلوبهم يقينًا، كما أنّ المنافقين اضطربت عقائدهم عند رؤية الأعداء، فالمؤمنون وأهل اليقين ازدادوا ثقة، وعلى الأعداء جرأة، ولحكم الله استسلاما، ومن الله قوة، يقول الإمام الزمخشري :وعدهم الله أن يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله:" أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ"، فلما جاء الأحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وأيقنوا بالجنة والنصر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: إنّ الأحزاب سائرون إليكم تسعا أو عشرا، أى: في آخر تسع ليال أو عشر، فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك. وهذا إشارة إلى الخطب أو البلاء إيماناً بالله، وبمواعيده، وَتَسْلِيماً لقضاياه، وأقداره.[26]
- وفي الآية الثالثة جاءت الجملة "وصدق المرسلون" فعل وفاعل أيضًا ولا شيء غير ذلك.

●{لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا } [الفتح]

- أما في هذه الآية : ففيها الجملة :"لقد صدق اللهُ رسولَه الرؤيا بالحق"، والفعل هنا تضمن فعلا متعديا لمفعولين، ومعناه لقد أعطى الله رسوله إحقاق الرؤيا، وهي دخول المسجد الحرام في عمرة القضاء، فالفعل هنا– وإن كان لازمًا– إلا إنه قد تضمن معنى الفعل المتعدي لمفعولين، يقول ابن جزي : لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى في منامه عند خروجه إلى العمرة أنه يطوف بالبيت هو وأصحابه بعضهم محلقون وبعضهم مقصرون، وروي أنه أتاه ملك في النوم فقال له: لتدخلن المسجد الحرام الآية: فأخبر الناس برؤياه ذلك، فظنوا أن ذلك يكون في ذلك العام، فلما صده المشركون عن العمرة عام الحديبية قال المنافقون: أين الرؤيا، ووقع في نفوس المسلمين شيء من ذلك، فأنزل الله تعالى: لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أي تلك الرؤيا صادقة، وسيخرج تأويلها بعد ذلك، فاطمأنت قلوب المؤمنين وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل، هو وأصحابه فدخلوا مكة واعتمروا، وأقاموا بمكة ثلاثة أيام، وظهر صدق رؤياه وتلك عمرة القضية [القضاء] ثم فتح

مكة بعد ذلك، ثم حج هو وأصحابه، وصدق في هذا الموضع يتعدى إلى مفعولين، وبالحق يتعلق بصدق، أو بالرؤيا على أن يكون حالا منها إِنْ شاءَ اللَّهُ.[27]

وبهذا تكون اللغة حاجزًا يمنع المرء القولَ في كتاب الله – جل وعلا– بغير علم؛ فهذا الفعل الذي تعددت معانيه وإن اتحد لفظه قد جاء في القرآن يحوي معاني كثيرة تدل كلها على اليقين، وتصور ما كان يدور في قلوب وأذهان الصحب الكرام، ويجعل المؤمن بهذا الدين يعقد المقارنة بين الفعل صدق في سورة آل عمران وسورة الأحزاب، وكيف كان اليقين مترسخًا في نفوس الصحابة الكرام، يقابله التشكيك في نفوس اليهود، ولذا عبر المفسرون في آية آل عمران بلفظ التعريض.

- **المطلب الثالث:** أثر التجرد والزيادة في الفعل على دلالة النص القرآني.

قد يشترك اللفظ مع اللفظ في المعنى، ولكن للتجرد والزيادة أثر في تغير المعنى من هذا لذاك، ويكثر هذا في الفعل، على ما يلي:

- {بسم الله الرحمن الرحيم الم (1) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (3) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (4)} [آل عمران: 1 – 4].
- جاء في صدر سورة "آل عمران" معنى إنزال الكتب الربانية بأكثر من طريق، فمرة " نزَّل" مضعف العين، ومرة " أنزل" بزيادة همزة التعدية، ولكن مع القرآن "نزَّل" المضاعف العين، على وزن "فعَّل"؛ لأنها صيغة تدل على التكثير، والتكرار؛ فقد نزل القرآن منجمًا على ثلاثة وعشرين عامًا، أما مع الكتب السابقة – التوراة والإنجيل– فقد جاء بالفعل المتعدي بالهمزة" أنزل" لأنها نزلت دفعة واحدة، وهو ما أكده الله في أيما موضع، قال تعالى :{"{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (213) } [البقرة: 213، 214]"}، وقال جل شأنه مخبرًا عن حمق الكافرين :"{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (24) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (25) } [النحل: 24 – 26]، وقد يكون الإنزال لشيء غير الكتب، المهم أنه أمر ينزل دفقة واحدة، قال جل ثناؤه: {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (12) } [هود: 12].

أما الفعل "نزل" فقد جاء تارة مخففًا، أي لازمًا، وتارة مضعفًا، أي متعديًا، ومن ذلك ما يلي:

- {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (176)} [البقرة: 176]، والفعل هنا مضعف العين، ومتعدٍ لمفعول واحد، وهو الكتاب، ويحمل معنى التنجيم والتفريق في إنزال الكتاب جزءًا جزءًا.
- {وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (105) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (106)} [الإسراء: 105، 106]، في هاتين الآيتين وردت الطرق الثلاثة لنزول القرآن، وهي : (الإنزال–

النزول– التنزيل)، الأولى من الفعل "أنزل" مرة واحدة، ومصدره الإنزال، وهو متعد بالهمزة لمفعول واحد، والثانية من الفعل :"نزل"، ومصدره النزول وهو لازم، وفاعله مستتر جوازًا لدلالة ما قبله عليه، والثالث من الفعل " نزَّل " ومصدره التنزيل الدال على التفريق الذي فسرته الآية .

- الجذر اللغوي "طعم"، وقد تنوعت صور مجيئه في القرآن الكريم، ومن ذلك ما يلي:

- {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249)} [البقرة].

في هذه الآية الكريمة يحكي الله – جل وعلا– ذلك الاختبار الرهيب الذي تعرض له الجيش المنطلق للقاء العماليق، وهو التعرض للعطش الشديد، وقد شرح الواحدي معنى الفعل فقال: "وقوله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي} طَعْمُ كُلِّ شيء ذوقُه، ومثله التطعُّمُ، يقال: تطعَّمت منه، أي: ذُقْتُه، قال ابن الأنباري: العرب تقول: قد أَطْعَمْتُكَ الماءَ، يراد به: أَذَقْتُكَ، وطعمت الماء أَطْعَمُه، بمعنى: ذقْتُه أذوقه.[28]، والفعل هنا مجرد، وماضيه طَعِم، وهاء الكناية تعود على ماء النهر مفعول به..

- {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا، ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (93)} [المائدة: 93]، والفعل هنا متعدٍ، ولكن مفعوله محذوف، والتقدير طعموه.

- {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (89) } [المائدة: 89].، والفعل "تطعمون" متعد للمفعول " أهليكم" وماضيه " أطعم" الرباعي، والفرق بين المجرد والمزيد أن المجرد لا يحتاج إلى من يطعمه، أي إنه يطعم بنفسه، أما المزيد فهمزته لتعدية، أي : يطعم المذنبُ الذي أقسم وعقد اليمين الفقيرَ، أي يعطيه ما يطعم به نفسه، لا أن يطعمه بيده في فمه.

- {وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (138)} [الأنعام: 138].

- {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (145)} [الأنعام: 145، 146]

- {وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79)} [الشعراء: 79]

- {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا

سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (53) } (الأحزاب: 53)

- {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9)} [الإنسان: 8، 9]، والفعل المضارع " يُطعمون" متعدٍ لمفعولين، أحدهما متقدم وحقه التأخر، وهو الطعامَ، والثاني متأخر وحقه التقدم، ولكنه تأخر للعطف وهو: "مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ".
- ونختم بما ختم الله به، وهو سورة قريش، بسم الله الرحمن الرحيم لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4). والفعل "أطعم" ماضٍ مزيد، يعطي معنى التعدي لمفعولين، أي: أطعمَ اللهُ أهلَ قريشٍ الطعامَ بعد معاناة الجوع.

وهذا المعنى عبر عنه عدداً من المفسرين، وقد فصل تلكم المنة أبو السعود العمادي في تفسيره" إرشاد العقل السليم" فقال {لإيلاف قُرَيْشٍ} شبه جملة متعلقٌ بقولِه تعالَى:" فليعبدُوا" والفاءُ المتصلة بالفعل المضارع أتت لما يفهم في الكلامِ منْ مَعْنى الشَّرطِ؛ إذِ المعَنْى:" أنَّ نِعمَ الله تعالَى عليهمْ كثيرة، وهي غيرُ محصورةٍ في ما يشعرون به ويعترفون به، فإنْ لَمْ يعبدُوه لسائرِ نعمهِ التي يرونها، فليعبدُوه لهذِه النعمةِ الجليلةِ ... وَالمَعْنى: أهلكَ جيش أبرهة ومعه جنوده منَ الحبشةِ وذلك ليتسامعَ الناس عن تلك المعجزة الكبيرة فيتهيبُوا لَهُمْ زيادةَ تهيبٍ، وكذلك ليحترموهم فضلَ احترامٍ، والعاقبة التي تعود عليهم من ذلك هي انتظَام الأمنِ في رحلتيهِمْ– الشتاء والصيف– فَلاَ يجترىءُ عليهمْ أحدٌ من القبائل المجاورة، أو حتى الدول البعيدة، وقد كانتْ لقريشٍ رحلتانِ يرحلونَ في الشتاءِ إلى اليمنِ وفي الصيفِ إلى الشامِ، فيتاجرونَ فيهما، ويحصلون على الميرة، وكانُوا في رحلتيهِمْ آمنينَ لأنَّهُم أهلُ حرمِ الله تعالَى وولاةُ بيتِه الحرام، الذي أعزه الله، فأعزهم بعزته، فَلاَ يتَعرضُ لهُمْ أي سلطان متجبر، وهم في هذه الحالة من الأمن كان النَّاسُ بينَ مُتخطَّفٍ ومنهوبٍ...{إيلافهم رِحْلَةَ الشتاء والصيف} بدلٌ منَ الأولِ ورحلةَ مفعولٌ لإيلافِهم وإفرادُهَا معَ أنَّ المرادَ رِحْلَتي الشتاءِ والصيفِ لأمنِ الإلباسِ وَفي إطلاقِ الإيلافِ عنِ المفعولِ أولاً وإبدالُ هَذا منْهُ تفخيم لأمرِهِ وتذكيرُ لعظيمِ النعمةِ ، وتبيان لهم بمزيد فضل الله عليهم، فإن أرادوا تمام هذا الفضل...{فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هذا البيت} {الذي أَطْعَمَهُم} بسببِ تينكِ الرحلتينِ اللتينِ تمكُنوا فيهَما لكونهم جيران البيت الحرام، فأطعمهم {مِن جُوعٍ} شديدٍ كانُوا فيهِ قَبْلَهُما {وآمنهم مِّنْ خَوْفٍ} شديد عظِيمٌ وهو هجوم أصحابِ الفيل عليهم بعدد كبير لا يستطيعون دفعه، أوْ خوفُ التخطف في بلدهم ومسايرهم. [29]

- وبهذا نتفهم الدور المهم الذي قام به علم الصرف– كأحد فروع اللغة العربية– على مستوى المفردات والمشتقات في فهم القرآن الكريم، وكأساس قويم في فهم مفردات التنزيل.

■ **المبحث الثالث:** دور التركيب النحوي في فهم النص القرآني، ويحتوي على ثلاثة مطالب:

– **المطلب الأول:** أثر التعبير بالجملة الفعلية في دلالة النص القرآني.

قد يتعجب صاحب النظرة العجلى من التعبير بالجملة الفعلية، ويظن أن السياق يتطلب التعبير بالجملة الفعلية ، مثل قوله تعالى: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ } [الرعد:] في هذه الآية آثر الحكيم

التعبير بالجملة الفعلية مستعملا الفعل المضارع " يمحو الله" وهي جملة فعلية مضارعية لتفيد الاستمرار التجددي؛ لأن مقام الخلق يتطلب محو بعض الخلائق وافناءها، وإثبات البعض الآخر، وهذا الأمر منه – سبحانه وتعالى– مستمر على جهة التجدد.

أما عن السر وراء الإتيان بالجملة الفعلية في مقام المسند، وما العلة في الإتيان بالمسند فعلا، فما العلة في ذلك؟

قالوا: يؤتي بالمسند جملة لواحد من أمرين:

الأمر الأول: تقوية الحكم، لأن المقام يقتضي تقويته، ومعني تقوية الحكم، أن المبتدأ يستدعي أن يسند إليه شيء، فإذا ما جاء ما يصلح أن يسند إليه صرفه المبتدأ إلى نفسه مثبت له ثم إذا كان متضمنا لضمير المبتدأ صرفه ذلك الضمير إلى المبتدأ ثانياً، فيكتسي الحكم قوة لتكرر الإسناد، كما في قولك: (محمد يحب القراءة) فحب القراءة يطلبها كل من محمد وضميره، وفي هذا تكرار لإسناد الفعل المذكور، والتكرار أساس التقوى.

الأمر الثاني: كون المسند سببياً: ومعناه – كما فسره السكاكي [30]– أن يكون المسند جملة علقت على مبتدأ بعائد لا يكون مسنداً إليه في هذه الجملة كما في قولك: علي أخوه كريم ومحمد عطفت عليه، وإبراهيم صاحبته، وعصام طالعت كتبا في مكتبته[31]..

فالغرض من مجيء المسند جملة فعلية هو إفادة التقوى، لأن كون المسند سبباً مما يقوي الحكم – أيضاً – لأنك في قولك: (محمد عطفت عليه) عندما قلت: محمد، تطلب الخير، فعندما أسندت إليه عطفك عليه تمكن الخبر من النفس، ولما كان في الخير ضمير عائد على المبتدأ كان ذلك عقوباً للربط بين طرفي الجملة.

وإذا كان الفرق بين التعبير عن المعني بصيغة الاسم، والتعبير عنه بصيغة الفعل هو أن الأول يفيد الثبوت، والثاني يفيد التجدد، فإن هذا الفرق موجود بين التعبير بالجملة الاسمية، والتعبير بالجملة الفعلية.

انظر إلى قول الله تعالي.. {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ}.

فقد عبروا في خطاب المؤمنين بالجملة الفعلية (آمنا) أي حدث الإيمان بعد أن لم يكن، ولكنهم في خطاب إخوانهم عبروا بالجملة الاسمية (إنا معكم) أي ثابتون مستمرون على ما كنا عليه من الكفر.

وأنظر إلى قوله تعالي {سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ}.

فقد جاءت الجملة الأولى (أدعوتموهم) فعلية، والجملة الثانية: (أنتم صامتون) اسمية، لتفيد الأولى التجدد والحدوث والثانية: الدوام والاستمرار، وعلى هذا فالمعنى، سواء عليكم أن تحدثوا دعاءهم، أم أن تستمروا على صمتكم، وكان الوثنيون من عادتهم أنهم لا يدعون هذه الأصنام إذا نزلت بهم شدة وإنما يدعون الله فقيل: سواء عليكم أأحدثتم الدعاء على غير العادة، أم بقيتم مستمرين على عادة صمتكم.

ومنه قول الله تعالى.. {قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ}. فقد عبر المشركون بالجملة الفعلية في قولهم، (أجئتنا) وذلك لتفيد التجدد والحدوث والابتداع، أي أحدث منك مجيء بالحق بعد أن لم تكن كذلك؟ عندما أرادوا وصمه بالبطلان عبروا بالجملة الاسمية في قولهم، (أنت من اللاعبين) وهم بتلك الجملة يريدون إلصاق تهمة الافتراء عليه – صلى الله عليه وسلم–، لأن الجملة الاسمية تفيد الدوام والاستمرار، أي، أم أنت مستمر في لعبك الذي ألفناه منك؟ [32].

وقد يأتي التعبير بالفعل إثر التعبير بالاسم، أي قد يعطف المولى –جل وعلا– الجملة الفعلية على الجملة الاسمية لحكمة عظيمة، قال تعالى:

{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (19)}[33].

فالتعبير عن حركة الطير في جو السماء – ما بين قبض الأجنحة وبسطها، وهي تلك الحركات التي تساعدها على الطيران، عبر في حال القبض بالفعل المضارع" ويقبضن"، فلم آثر التعبير بالفعل المضارع حال القبض، مع أن حال الصف قال "صافات"؟

هذا السؤال يجيبنا عنه أحد العلماء المختصين بهذا العلم، وهو الكوراني، يقول هذا العالم معبرًا عن تلك التفرقة بين المعنيين، وموظفًا الجملتين في المعنيين: "باسطات أجنحتهن في الجو، فإنها إذا بسطت الأجنحة صفت القوادم، وهذا المشهد العظيم من مراعاة النظير بين الأجنحة والقوادم عبر عنه بالقبض والبسط. وقد قال(وَيَقْبِضْنَ) لم يقل قابضات؛ لأن الطيران كالسباحة الأصل فيه المد والقبض تارة وتارة أخرى، والمشابهة بين الطيران والسباحة مستساغ في القرآن الكريم[34]، والفعل دال على الحدوث والتجدد. (مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ) بليغ الرحمة، بأن خلقها على وضع وهيئة يتمكن بها من الطيران، فجعل لها القوادم التي تشق بها الريح، والخوافي التي تشدها والأذناب التي تقيمها كما يحدث في السفن. (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) عليم عياناً، علمًا به لا يخفى عليه شيء مما يدهش الفطن. وفي ذكره عقيب الخسف وإرسال الحاصب؛ إشارة إلى أن الإله الذي هذا شأنه فإن الخسف والإرسال الحاصب على من يبارزه بالمعصية أهون شيء عنده، وإيماء إلى أن دافع العذاب عن هؤلاء، مع أنهم قد فعلوا موجباته، وتكاملت منهم أسبابه إنما حجبه رحمته البالغة التي أمسكت الطير في الهواء. وإذا كان الفعل يفيد التجدد والحدوث في نحو قولك: ينطلق زيد، فكذلك الجملة الفعلية. [35]

- يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54)

في هذه الآية وصف الله عباده الذين يفضلهم على الجميع بصفات كثيرة، ومنها:

- يحبهم.
- يحبونه.
- أذلة على المؤمنين.
- أعزة على الكافرين.
- يجاهدون في سبيل الله.
- لا يخافون لومة لائم

فعبر عن هذه الصفات الست بالفعل المضارع في أربعة مواضع، وبالجملة الاسمية في موضعين، يقول "السمين الحلبي" معللا ذلك التغاير في التعبير:

وقد وقع وصفُ المحبة بالجملةِ الفعلية؛ لأنَّ الفعلَ بذاته يَدُلُّ على صفات التجدُّدِ والحدوثِ والاستمرار والتكرار، هو مناسبٌ للمحبة من الله لعباده؛ فإنَّ محبَّتهم للهِ تعالى هي الباعثة على تَجَدُّدِ طاعاتِه وعبادتَه كلَّ وقتٍ، ومحبةُ اللهِ إياهم تبعث على تَجَدُّدِ ثوابِه وإنعامِه عليهم كل وقت.

وإنما وقع الوصفُ في جانبِ التواضعِ للمؤمنين، وجاءت الغِلْظَةُ على الكافرين بالاسم الدالِّ على المبالغة دلالةً على ثبوتِ ذلك واستقراره وأنه عزيزٌ فيهم، وذلك لأن الاسمَ دالٌّ على الثبوتِ والاستقرارِ، ولذا قَدَّم الوصفَ بالمحبة منهم ولهم على وصفِهم بأذلَّة وأَعِزَّة؛ لأن هاتين الصفتين ناشِئتان عن المحبة، وقَدَّم وصفَهم المتعلِّق بالمؤمنين على وصْفِهم المتعلق بالكافرين لأنه آكدُ وألزمُ منه، وكذلك لأن شرفَ المؤمنِ موجب تقديمه على الكافر أيضاً.[36]

- **المطلب الثاني:** أثر التعبير بالجملة الاسمية في دلالة النص القرآني.

جاء في القرآن الكريم العديد من الآيات التي آثر فيها الحكيم جل وعلا التعبير بالجملة الاسمية في موضع الجملة الفعلية، وذلك لبث اليقين بالثبوت، ولنشر الطمأنينة في موعوده الأخروي، ومن ذلك ما يلي:

- {وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (103)} [37]

قال الإمام النسفي في تفسير هذه الآية، في معرض تعليله التعبيرَ بالاسم عوضًا عن الفعل: {ولو أنهم آمنوا} برسول الله – صلى الله عليه وسلم– والقرآن الكريم الذي أنزله الله عليه {واتقوا} الله وخافوه فتركوا المعاصي التى بارزوا الله بها ، واجتنبوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع صحف الشياطين {لَمَثُوبَةٌ مّنْ عِندِ الله خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} ويفقهون أن ثواب الله وما وعدهم إياه من عظيم الثواب خير لهم مما هم فيه من الضنك وضيق العقل، وقد علموا ذلك، ولكن لولا جهلُهم ما تركوا العمل بما علموه، والمعنى المفاد من الآية: لو فعلوا ذلك واتبعوا الحق لأثيبوا من عند الله ثوابًا هو خير لهم، وقد أوثر التعبير بالجملة الاسمية على الفعلية في جواب "لو" لما في

الجملة الاسمية من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها، وإنما لم يقل الله عز وجل :" لمثوبة الله خير" لأن المعنى: لشئ من الثواب خير لهم، وقيل: "لو" في الاية تفيد معنى التمني كأنه قيل :" وليتهم آمنوا"، ثم ابتدأ:" لمثوبة من عند الله خير".[38]

- وقوله تعالى: {سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ} (الأعراف: 193) كان الوثنيون الذين عبدوا الأصنام من عادتهم أنهم لا يدعون تلك الأصنام إذا نزلت بهم شدة، بل يدعون الله. وإذا ناسب التعبير عن صمتهم في الجملة الاسمية المفيدة للثبوت والدوام، وتأكيد الحكم، ولما كان الدعاء غير معتاد، فقد عبر عنه بالجملة الفعلية التي لا تفيد ثبوتًا. والمراد: سواء عليكم أأحدثتم الدعاء على غير عادة أم بقيتم مستمرين على عادة صمتكم.

ولكون الجملة الاسمية تفيد الثبوت والدوام كانت آكد من الجملة الفعلية، ومن أجل هذا فإنه يحسن إيثار التعبير بالجملة الاسمية في المقامات التي تتطلب التأكيد، تأمل قول الله تعالى: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ} (البقرة: 14). تجد أن المنافقين لكونهم قد أظهروا الإيمان؛ خوفًا ومداراةً للمؤمنين وليس عن يقين راسخ وثابت. وقد عبروا عنه بالجملة الفعلية: {آمَنَّا}، ولما كان الكفر ثابتًا وراسخًا في عقولهم قد خاطبوا شياطينهم بالجملة الاسمية المؤكدة: {إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ}.

- {وَيَاقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (41) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (42)} [غافر: 41، 42]

وعند التوصل لتأويل تلك الآية نجد أن الإمام البقاعي قد عبر في "النظم" عن السر الكامن وراء التعبير بالجملة الاسمية في قوله :"وأنا أدعوكم"، ولم يقل: " وقد دعوتكم" فقال :" ...ولما بين أنهم دعوه إلى ما هو عدم محض، وليس له فائدة، فضلاً عن أن يكون له نفع أو ضر في جملة فعلية، في هذا إشارة إلى بطلان دعوتهم وعدم ثبوتها، بين لهم أنه ما دعاهم إلا إلى ما به يحصل الكمال كله، وهو– سبحانه– لا نفع ولا ضر إلا بيده، فقال معبرًا بالجملة الاسمية عن ثبوت دعوته وقوتها: {وأنا ادعوكم} أي أوقع دعاءكم الآن وقبله وبعده {إلى العزيز} وهو سبحانه البالغ العزة القوي السلطان الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء.

ثم إنه لما وصفه – سبحانه– بهذا الوصف بغرض إيقاع الترهيب في قلوبهم، أردف تلك الصفة بصفة أخرى بغرض الترغيب وهي قوله: {الغفار *} أي الذي يتكرر له دائماً محو الذنب عيناً وأثراً، ولا يتأتى هذان الأمران إلا ممن يتصف بالعزة والغفران، ومن صح وصفه بهذين الوصفين فهو الذي يعلم ما به من صفات الكمال كل أحد، وعلى ذلك فإن بالآية من المحسنات المعنوية ما يسمى بـ "الاحتباك"، وهو: ذكراً أولاً عدم العلم دليلاً على العلم ثانياً، وثانياً العزة والمغفرة دليلاً على حذفهما أولاً."[39]

ومن ذلك أيضا ما جاء في سورة الحشر من قوله الله تعالى:" هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (2)"

عبر بالجملة الاسمية في قوله:" مانعتهم حصونهم"، مع أن السياق يغلب عليه الجملة الفعلية، (أخرج – ما ظننتم– يخرجوا– وظنوا– فأتاهم – لم يحتسبوا– وقذف– يخربون– فاعتبروا)، فما السر في تلك المخالفة للسياق؟

وقد أفاض الإمام البقاعي في التعبير عن ذلك ، والتأصيل لإيجاب الجملة الاسمية في موضعها، والفعلية في موضعها بقوله :" ولما كانت الحصون تمنع من إتيان الأمداد قال: {وظنوا أنهم} ودل على قوة ظنهم وثباته بالجملة الاسمية فقال: {مانعتهم حصونهم} أي: هذه الحصون القوية التي صنعوها كان المنع وصفًا ثابتًا لها وبالتالي كان الامتناع متحققًا في حقهم، – ثم أدمج البلاغة مع النحو في التدليل على تأويله فقال: قالوا: وفي تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها وطمأنتهم على منعها إياهم من أعدائهم، وفي جعل ضميرهم اسم (إن) وإسناد الجملة إليه دليل دامغ – في مزاعمهم– على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عز ومنعة ممن يريد بهم سوءًا، وأنه لا مطمع مع تلك الحصون في معازّتهم، ثم إنه دلل على ضعف عقولهم بأن عبر عن جنده باسمه وباسمه الأعظم فقال: {من الله} أي الملك الأعظم الذي لا عز إلا له، ولا نصرة إلا منه، وطمأن المؤمنين بأنهم جنده .[40]

وبذلك نتفهم السر البلاغي من التعبير بالجملة الاسمية بدلا عن الجملة الفعلية في مواضعه؛ ليتيقن المستمع أن القضية التي يعبر عنها النص القرآني آكد في النفس وأرسخ في الوجدان.

- **المطلب الثالث:** إيثار إحدى حركات الإعراب مكان الأخرى، وأثرها في فهم النص القرآني.

من الشبه التي يلقيها المستشرقون، ومما انتشر أيضًا على صفحات الانترنت[41] أحيانًا – انسياقًا وراء الجهل والعناد – أن القرآن به أخطاء نحوية، وأنه عبر بالمنصوب مكان المرفوع، أو أتى بالفتحة في موضع الضمة، أو الواو موضع الياء، ولو تتبعوا تلك المواطن التي يتقولون بها على القرآن في أدنى التفاسير وأقربها لفهمهم لوجدوا الرد ميسورًا، ومن ذلك قوله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (سورة المائدة).

أثارت هذه الآية تساؤلات واعتراضات عند المستشرقين والملحدين، وقد ظنوا أنهم ألقمونا حجرًا بهذه الشُبه، ومنها:

- ما السر في تقديم المؤمنين على اليهود والصابئين والنصارى، مع أن السياق التأريخي عكس ذلك؟

- ما السر في تأخير النصارى هنا في المائدة وتقديمهم في سورة البقرة في قوله:" {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)} (البقرة)
- لماذا رفع " الصابئون هنا ولم يتبعها مع كونها معطوفة على المنصوب بإن؟
- ما السر في تفرد آية الحج بذكر المجوس؟

وظن الملاحدة والمستشرقون أنهم بهذه الأسئلة قد أغرقونا في لجة بحر عميق، ولو فهموا اللغة العربية وما تحويه من مناطات وسياقات دالة على تدبر كلام العليم القدير لعلموا أن الحق لله، وأن لا إله إلا هو، وأنهم إليه يحشرون.

وهذه الأسئلة الأربعة بعينها ذكرها المفسرون واللغويون، ومنهم أبو جفر الغرناطي[42] منذ ما يزيد عن سبعمائة وخمسين عامًا، في كتابه ملاك التأويل، فقال عن هذه الآية: {"فيها أربعةُ سؤالات: تقديم النصارى في سورة البقرة وتأخيرهم في المائدة وتخصيص آية البقرة بقوله تعالى: "فلهم أجرهم عند ربهم " ورفع "الصابئون "في المائدة ولم يتبع وانفراد سورة الحج بسياقها وزيادة ذكر المجوس والذين أشركوا.

فأقول وأسأل الله توفيقه: إن المؤمنين أحق بالتقديم وهم أهل الخطاب والمتكلم معهم في الآى قبل، فهم من حيث أحوالهم معظم من قصد بالخطاب والتأنيس ثم إن أهل الكتابين يلون المؤمنين فإنهم ليسوا كافرين بكل الرسل ولا منكرين بكل الرسل ولا منكرين لكل ما أنزل من الكتب فقد كانوا أقرب شئ لولا التبديل والتغيير والتحريف المقدر وقوعه عليهم، فإنهم قد قدم إليهم فنكثوا ونقضوا وكفروا بمن قدم إليهم من أمره، واليهود أقدم تعريفا وأسبق زمانا فلما اجتمع الأصناف الثلاثة في أنهم أهل الكتاب والمقرون بالبداءة والعودة وإرسال الرسل على اختلاف حالاتهم في ذلك وأزمانهم كان تقديمهم على غيرهم أوضح شئ على الوارد في سورة البقرة إلا أن ذكرهم لم يقع بحرف مرتب بل وقع الاكتفاء بترتيب الذكر لاستوائهم في الغايات من استواء العواقب وإن الفائز من الكل إنما هو من كانت خاتمته في دار التكليف الموافاة على الإيمان والإسلام وإن أكرمكم عند الله أتقاكم وإن الموافى في الكل على المفر والكفر في النار ثم عذابهم بحسب جرائمهم جزاء وفاقا فرتبوا ذكرا بحسب حالهم الدنياوى ولم يتقعد الترتيب بالحرف المرتب لحظا لحالهم الأخروى فجرى ذكرهم في سورة البقرة على هذا وأخر ذكر الصابئين لتأخرهم عن هؤلاء الأصناف في أنهم ليسوا من أهل الكتاب أو ليسوا مثلهم في ما وراء ما ذكر من أحوالهم فإيراد ذكرهم على ما في سورة البقرة بين، ثم قدم ذكر الصابئين في سورة المائدة وزيادة بيان للغرض المذكور من أنه لا ترتيب في الغاية الأخراوية إلا بنظر آخر لا بحسب الدنياوى والاشتراك فيما قبل الموافاة بل المستجيب المؤمن من الكل مخلص والمكذب متورط ثم مراتب الجزاء بحسب الأعمال فأوضح تقديم ذكر الصابئين في سورة المائدة ما ذكرناه

فإن قلت لم لم يقدم ذكرهم على الكل؟ قلت: لا وجه لهذا لمكانة المؤمنين وشرفهم فإن قلت فهلا قدموا على يهود قلت: قد كانت يهود أولى الناس بأن يكونوا في رعيل من المستجيبين ومعهم جرى الكلام قبل هذا نعيا عليهم وبيانا لمرتكباتهم، ولعظيم ما جرى على من لم يؤمن منهم وترددت فيهم عدة آيات وذلك مما يوجب تقديم ذكرهم على من عدا المؤمنين.

فإن قلت فالنصارى مثلهم: قلت النصارى أقرب إلى الصابئين من حيث التثليث وسوء نظرهم في ذلك وتصورهم ثم إنهم لم يجر لهم ذكر فيما تقدم هذه الآية بخلاف يهود فبان من هذه الجهة تقديم يهود عليهم وإن كان يهود شر الطائفتين.

السؤال الثانى: وهو ورود اسم الصابئين في المائدة بالرفع والجواب عنه أنه لما ورد مرفوعا تنبيها على الغرض المذكور وتأكيدا للتسوية في الحكم وإذا اتفقوا في الموافاة على الإيمان فنبه التقديم على هذا كما تقدم وزاد القطع على الرفع تأكيدا لأن قطع اللفظ عن الجريان على ما قبله محرك للفظ توجيهه عند سيبويه رحمه الله مقدم من تأخير وكأنه لما ذكر حكم المذكورين سواهم قيل والصابئون كذلك أى لا فرق بين الكل في الحكم الأخروي وهو على هذا التقدير أوضح شئ فيما ذكر، وأما على طريقة الفراء ومن قال بقوله من حمله على الموضع ففيه التقديم وأن التحريك القطعي في اللفظ وإن لم يكن مقطوعا في المعنى لا يكون إلا لإحراز معنى وليس إلا ما تقدم.

والجواب عن السؤال الثالث: إن قوله تعالى في سورة البقرة: "فلهم أجرهم " قد تقدم في المائدة ما يعطيه ويحرزه فاكتفى به ألا ترى أن قوله تعالى: "ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم " تفسير بين للأجر الأخروى المجمل في قوله تعالى في سورة البقرة: "فلهم أجرهم عند ربهم " إلى آخر الآية فقد حصل ما في سورة المائدة مفصلا مبينا ما ورد في البقرة مجملا فلو قيل في آية المائدة فلهم أجرهم لكان تكرارا ورجوعا إلى الإجمال بعد التفصيل وذلك عكس ما ينبغي.

أما الجواب عن السؤال الرابع فقد قال: إن آية سورة الحج قد وردت بأسلوب التعريف بمن ورد في القيامة على ما كان من يهودية أو نصرانية أو غير ذلك، أما الآيات الآخر فقد وردت فيمن جاء إلى مولاه مؤمنا، وبذلك يتأتى افتراق القصدين واختلاف مساق الآيات بحسب ذلك[43].

ولو أردنا تقصي تلك المواضع التي عبر بها ربنا – سبحانه بالجملة الاسمية في موضع لا تصح فيه الفعلية، والفعلية في موضع لا يجوز فيه سواها لأعيانا ذلك، ولكن يجمل بنا أن نسوق أيضًا ما ساقه ابن عطية في محرره الوجيز عن علة نصب بعض الألفاظ القرآنية، وهنا يأتي الإعجاز القرآني في التعبير بالحركات الإعرابية عوضًا

عن أختها، فقال في علة نصب: " نصيبًا مفروضًا" في قوله تعالى :"{لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا }[44] ، فقال :" ونَصِيباً مَفْرُوضاً، نصب على الحال، وهو ما قاله مكي بن أبي طالب، وإنما هو اسم جاء منصوبًا كما ينصب المصدر في موضع الحال، تقديره: فرضا، ولذلك جاز نصبه، وهذا النصب من باب قولك: لك عليّ كذا وكذا حقا واجبا، وإنما وجب نصبه لمعنى المصدر الذي فيه، ولولا ذلك ما جاز في الاسم الذي ليس بمصدر هذا النصب، ولكان حقه الرفع.[45]

وإذا كان ما مضى في أمر النصب، فقد علل المفسرون إيثار الرفع على النصب في بعض المواضع، وأبانوا ما فيه من الفائدة، ومن ذلك ما ساقه البيضاوي في علة رفع " الراسخون " في قوله تعالى :" { لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا } [النساء: 162]، قال : " لكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ... خبر المبتدأ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ نصب على المدح إن جعل "يؤمنون" الخبر لأولئك، أو عطف على ما أنزل إليك والمراد بمن قبله هنا :" الأنبياء عليهم الصلاة والسلام" أي: يؤمنون بالكتب والأنبياء. وقرئ بالرفع عطفاً على "الراسخون" أو على الضمير في يُؤْمِنُونَ أو على أنه مبتدأ والخبر أُولئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ. وَالْمُؤْتُونَ الزَّكاةَ رفعه لأحد الأوجه المذكورة. وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قدم عليه الإيمان بالأنبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع، والإيمان بالرسالات السابقة وما جاء فيها من كتب منزلة، لأنه المقصود بالآية. أُولئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً بسبب جمعهم بين الإيمان الصحيح والعمل الصالح.[46]

وبهذا يتبين لنا أن اللغة العربية فهمُها عاصم من الزلل في فهم القرآن الكريم، والتجرؤ عليه، والتسرع بتخطئته، فسبحان من هذا كلامه.

الاستنتاجات

ان القرآن الكريم معجزة لغوية متجددة وحد لهجات اللغة العربية في جزيرة العرب وتعداها الى حضارات أخرى لتصبح اللغة العربية لغة عالمية ولكن بسبب الهجوم على اللغة العربية وادعاء بعض المشككين وجود أخطاء لغوية في القران كان لابد من تفنيد ما يدعونه عن طريق التحليل والدراسة لإظهار دقة المعاني والالفاظ وذلك عن طريق:

أولا: بيان دور متن اللغة والدلالة المعجمية في ترجيح التأويلات المختلفة للنص وذلك بدراسة أثر الحروف المتقاربة المخرج و الحروف المتقاربة في الصوت وأثر تغايرها في النص القرآني كذلك دراسة أثر الترادف في تغير المعني.

ثانيا: بيان دور المنحى الصرفي في فهم النص القرآني عن طريق دراسة أثر اتفاق كلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى وكذلك دراسة أثر التعدي واللزوم في الفعل على دلالة النص ودراسة أثر التجرد والزيادة في الفعل على دلالة النص القرآني.

ثالثا: بيان دور التركيب النحوي في فهم النص القرآني ويكون عن طريق دراسة أثر التعبير بالجملة الفعلية وكذلك دراسة أثر التعبير بالجملة الأسمية على النص.

كذلك أيثار أحد حركات الأعراب مكان الأخرى وأثرها في فهم النص.

فقد زعم بعض المستشرقين ان القران الكريم به أخطاء نحوية وهذا عار تماما عن الصحة اذ يتبين بدراسة اللغة العربية ان القران الكريم يحتوي على اسرار لغوية وبلاغية تدل على عظمة اللغة العربية.

■ الخاتمة:

بعد هذه الرحلة القصيرة لآيات القرآن الكريم، وتتبع بعض الآيات، وما جاء فيها من الأسرار البلاغية واللغوية، وكان الأساس اللغوي فيها معينًا على استكشاف عظمة الخالق جل في علاه تبين لنا عظمة تلك اللغة وأهميتها البالغة في المحافظة على هذا الدين العظيم.

ولذا يوصي الباحث بعقد المزيد من الدورات المكثفة التي يلقيها المتخصصون في اللغة العربية ؛ لئلا يقع فريسة في يد المشككين والمستشرقين.

كذلك يوصي الباحث بأن تعقد لجنة عامة مكونة من أبرع العلماء على مستوى العالم الإسلامي وضع تفاسير ثلاثة:

- **التفسير البسيط:** ويكون مجرد شرح بسيط دون الدخول في التفاصيل المعقدة للقضايا العقدية واللغوية، ليطلع عليه الأطفال والمتعجلون للفهم القرآني.
- **التفسير الوسيط:** ويكون فيه بعض التطويل والتبسيط والتفصيل؛ ليطلع عليه المبتدئون في العلوم الشرعية.
- **التفسير المحيط:** ويكون طِلبةً للعلماء والباحثين عما يطمئن قلوبهم، ويرد على الشبه العقدية، واللغوية، والبلاغية، والعلمية.

الهوامش:

[1]– محمد حسن حسن جبل، " المختصر في أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة دار الآداب، القاهرة، الطبعة السابعة: 2012م، صـ 30

[2]– نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: 573هـ)، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تح: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الأرياني – د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة الأولى، 1420 هـ – 1999 م، (1/ 84)

[3]– ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى – 1418 هـ، (2/ 158).

[4]– أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: 463 هـ)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، 1401 هـ – 1981 م، (1/ 326).

[5]– الهمزة: ١

[6]– عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، **لطائف الإشارات = تفسير القشيري**، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة الثالثة، (3/ 766)

[7]– محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، تفسير الشعراوي– الخواطر، مطابع أخبار اليوم، 1997م، (18/ 11540).

[8]– تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (5/ 319).

[9]– تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن (5/ 189).

[10]– تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (22/ 23).

[11]ديوان الأعشى، قافية اللام.

[12]– ذو الجدين المقصود في البيت: قيس بن مسعود بن قبس بن خالد ذي الجدين، وإنما قيل لقيس بن مسعود (ذو الجدين) لأن جده قبس بن خالد أسر أسيرا له فداء كثير، فقال رجل: إنه لذو جد في الأسر، فقال آخر: إنه لذو جدين؛ فصار يُعرف بهذا، والسورة: الغضب، ويروى (شوكتنا) وهو السلاح شرح القصائد العشر (ص: 303)

[13]– غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني (ص: 400)

[14]– تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (2/ 570)

[15]– تفسير الشعراوي (17/ 10609)

[16]– المعجم الوسيط (2/ 589)

[17]– المعجم الوسيط (2/ 613).

[18]– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (3/ 103)

[19]– التحرير والتنوير (21/ 128)

[20] ينظر عقود الجمان صـ143 وما بعدها.

[21] ينظر معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) – لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ) (331/4) ت–عبد الرزاق المهدي– ت: دار إحياء التراث العربي –بيروت– الطبعة الأولى، 1420هـ.

[22] ينظر القاموس المحيط مادة (وزن). (ص: 1238)

[23] ينظر لسان العرب مادة (وزن). (13/ 448)

[24]– ينظر: دروس في الصرف، د/ محمد حلمي أفندي، مطبوعات كلية الآداب جامعة طنطا، 2012م، صـ18

[25]– تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (1/ 275)

[26]– تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (3/ 531).

[27]– تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل (2/ 291)

[28]التفسير البسيط (4/ 331).

[29]–: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (9/ 203).

[30]

[31]– ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/ 313)

[32]– النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق (ص: 387)

[33]– [الملك: 19]

[34]– قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (33)} [الأنبياء: 33]

[35]– غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني (ص: 200)

[36]– الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (4/ 310)

[37]– [البقرة: 103]

[38]– تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (1/ 117).

[39]– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (17/ 77)

[40]– " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (19/ 408).

[41]– من ذلك بعض الصفحات التي اتخذت لنفسها بعض المسميات مثل (تعليقات على الإسلام– أكذوبة الإعجاز العلمي– دولة الملحدين) وغير ذلك من الصفحات المنتشرة على مواقع التواصل الاجتماعي.

[42]– ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل (1/ 43)، وما بعدها.

[43]– ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل (1– 45)

[44]– النساء 7.

[45]– تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/ 12)

[46]– تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (2/ 109)

■ المراجع:

أولا: القرآن الكريم.

ثانيًا: التفاسير وكتب اللغة:

1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)
2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى – 1418 هـ.
3) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ.
4) التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، تح: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى – 1416 هـ.
5) التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ، منشورات عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى:1430 هـ
6) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ)، تح: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى – 1418 هـ
7) الخواطر– تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، 1997م.
8) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، تح: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

9) دروس في الصرف، د/ محمد حلمي أفندي، مطبوعات كلية الآداب جامعة طنطا، 2012م.
10) شرح القصائد العشر، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (المتوفى: 502هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، 1352 هـ
11) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: 573هـ)، تح: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الأرياني – د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة الأولى، 1420 هـ – 1999 م.
12) عقُودُ الجُمَانْ في عِلْمِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانْ، نظم لكتاب «تلخيص المفتاح» للخطيب القزويني المتوفى 739 هـ، نظم الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تح: عبد الحميد ضحا، دار الإمام مسلم للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1433 هـ – 2012 م
13) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: 463 هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، 1401 هـ – 1981 م.
14) غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي (المتوفى: 893هـ)، تح: محمد مصطفي كوكصو (رسالة دكتوراه)، منشورات: جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية – تركيا، عام النشر: 1428 هـ – 2007 م
15) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، 1426 هـ – 2005 م
16) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة – 1407 هـ
17) لباب النقول، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تح: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
18) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة – 1414 هـ.
19) لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة الثالثة.
20) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – 1422 هـ

21) المختصر في أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية، محمد حسن حسن جبل، " مكتبة دار الآداب، القاهرة، الطبعة السابعة: 2012م.
22) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
23) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) - لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ) ت-عبد الرزاق المهدي- ت: دار إحياء التراث العربي -بيروت- الطبعة الأولى، 1420هـ.
24) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.
25) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - 1420 هـ
26) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: 708هـ)، تح: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
27) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت
28) النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ رئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر (المتوفى: 1429 هـ)، دار الطباعة المحمدية القاهرة - مصر، الطبعة الأولى 1403 هـ - 1983 م
نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.